

نشأة الفلسفة

تمهيد إشكالي:

- جرت العادة أننا عندما نريد أن نعرف شيئاً ما، نسأل عن تاريخه (تاريخ تسميته، تاريخ حياته، تاريخ علاقاته، تاريخ صراعاته ...)، لعل هذا يدلنا على المعرفة الحقة بذلك الشيء الذي نريد أن نعرفه، سنسلك الطريق نفسه مع سؤال:
- ❖ ما الفلسفة؟
 - ❖ ماذا تعني هذه الكلمة؟
 - ❖ أين بدأت؟
 - ❖ وكيف تطورت؟
 - ❖ وهل نستطيع أن نعرف ما الفلسفة إذا اكتفينا ببتبع مسارها التاريخي منذ لحظة ولادتها إلى يومنا هذا؟
 - ❖ هل يكفي أن نعرف تاريخ الفلسفة لنقول إننا عرفنا ما هي الفلسفة؟
 - ❖ هل يكفي أن نحفظ مقولات فلسفية عن ظهر قلب ونستظيرها في كل مرة، لنقول إننا نعرف الفلسفة؟
 - ❖ ربما قد نجد بعض الإجابات عن أسئلتنا إذا ما نحن تتبعنا تاريخ الفلسفة.

تقديم:

الفلسفة لفظ استعارته العربية من اللغة اليونانية، وأصله في اليونانية كلمة تتألف من مقطعين:

- آ - **فيلوس Philos**: وهو بمعنى (صديق أو محب).
- ب - **سوفيا Sophia**: أي (حكمة).

فيكون معناها (محب الحكمة)، وبذلك تدل الكلمة (الفلسفة) من الناحية الاشتقاقة على محبة الحكمة أو إيثارها، وقد نقلها العرب إلى لغتهم بهذا المعنى في عصر الترجمة، وكان فيثاغورس (572 – 497 ق.م) أول حكيم وصف نفسه من القدماء بأنه فيلسوف، وعرف الفلسفة بأنهم الباحثون عن الحقيقة بتأمل الأشياء، فجعل حب الحكمة هو البحث عن الحقيقة، وجعل الحكمة هي المعرفة القائمة على التأمل، وعلى هذا أضحت تعريف الفلسفة بأنها "العلم الذي يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه بقدر الطاقة البشرية"، وتجدر الإشارة إلى أن الكلمة (الفلسفة) استعملت في معانٍ متعددة عبر التاريخ، واتسع معناها في بعض المراحل ليستوعب العلوم العقلية بأسرها، فيما تقلص هذا المعنى في مراحل أخرى فاستعمل عند البعض كما في التراث الإسلامي فيما يخص الفلسفة الأولى، التي تبحث عن المسائل الكلية للوجود التي لا ترتبط بموضوع خاص.

الخور الأول: نشأة الفلسفة:

تقديم إشكالي:

الفلسفة أو (فيلوسوفيا)...أين ظهرت؟ ومتى ظهرت؟ لماذا ظهرت في هذا البلد وليس في ذاك؟ لماذا في هذا الزمان دون غيره من الأزمنة؟ ما هي الشروط التي ساهمت في بروز هذا النمط من التفكير وفي انتشاره؟ وكيف تم الانتقال من التفكير الأسطوري إلى التفكير الفلسفي؟ ثم ما هو الجديد الذي حلته الفلسفة بصفة عامة معها بالقياس إلى أنواع التفكير التي كانت سائدة آنذاك؟ كيف نفسر فعل نشأة الفلسفة وانتشارها؟ هل بالحروب أم بالهجرات؟ أم بالثقافة السائدة آنذاك؟ أم بشكل النظام السياسي والاقتصادي؟ أم بنية المدينة اليونانية وخصوصيات تركيبتها؟ أم ماذا؟

يكون إطار نشأة الفلسفة من ثلاثة مجالات هي: "اللغة" و"المكان" و"الزمان"، وترتبط هذه المجالات باليونان القديمة، ففي بلاد اليونان، وفي بداية القرن السادس قبل الميلاد، وفي مدينتي "أثينا" و"ملطية" اليونانيتين ظهر بعض المفكرين الذين لم يهتموا بالأحداث والمظاهر ولكن بالمبادئ الكامنة وراء مختلف الأشياء، وكان يطلق على هؤلاء اسم حكماء طبيعيين، هؤلاء الحكماء الطبيعيون الذين اندهشوا من التغير الذي يطرأ على الأشياء، الأمر الذي دفعهم إلى البحث عن طبيعة تلك المبادئ بإرجاع المتعدد إلى الواحد والمتغير إلى الثابت، وهذا ما حاول "نيتشه" أن يبرره في النص ص 15، إلا أن صفة الحكمة لا تتحضر في الحضارات اليونانية وحدها، بل سبقتها إلى ذلك حضارات وشعوب

آخر في الشرق القديم (الصين، الهند...). غير أن تلك الحكمة ارتبطت عندهم بالأساطير وال المقدسات الدينية فقط، وليس بالطبيعة كما حصل عند حكماء اليونان الأوائل، كان أول هؤلاء "طاليس" الذي أرجع أصل الأشياء كلها إلى عنصر واحد هو الماء، أما بالنسبة لـ "انكسماندر" فقد اعتبر "اللامائي" هو العنصر الأولي في الطبيعة، أما "أنكسماس" فقد قال بالمواء كعنصر أولي في الطبيعة، في حين قال "هيراقليطس" بالنار كعنصر أولي في الطبيعة ...، وهكذا فمنذ بداية ظهور الحكمة سيبقى أنها جاءت معارضة للأساطير المفسرة لأصل العالم، لذا قدمت نفسها على شكل علم ومعرفة حقيقة بالطبيعة، هذه المعرفة هي التي سمحت للإنسان أن يختلق مكانه الحقيقي بين الآلهة والحيوانات في قلب العناصر الطبيعية، وفي القرن الرابع قبل الميلاد سيتم الانتقال من الحكمة إلى الفلسفة مع "سقراط" الذي يرجع إليه الفضل في إرساء أسس التفكير الفلسفـي القائم على الحوار التوليدـي، ورغم أن سقراط لم يخلف أثراً مكتوباً، إلا أن أفلاطـون أحد تلامـذـه هو الذي خلـدـه من خلال محاورـاته الشهـيرـة.

وهكذا جاءت الفلسفة في بدايتها الأولى في القرن السادس قبل الميلاد معارضـة ومواجهـة الأسطـورة ليحلـ اللوغوس (Logos) (وهو كلمة يونانية تعني الخطاب، المبدأ، العقل والعلم) محلـ الميتـوس Mythos (وهو كلمة يونانية تعني الأسطـورة)، وهـكـذا سيـحلـ اللوغـوسـ الذي يستعملـ البرـهـانـ من خـلالـ توـظـيفـ الحـجـةـ محلـ المـيـتوـسـ الذي يستـعملـ فيـ السـرـدـ الـخـيـالـيـ، فالـلوـغـوسـ ظـهـرـ بشـكـلـ بـارـزـ مع ظـهـورـ الخطـابـ المـكـتـوبـ الذي يـعـمـدـ العـقـلـانـيـةـ وـالـصـرـامـةـ الـمنـطـقـيـةـ وـالـحـجـةـ وـالـبـرـهـانـ، وهذا ما يـدـهـبـ إلىـ تـأـكـيدـ "جوـنـ بيـيرـ فـرنـانـ"، بالإـضـافـةـ إلىـ هـذـهـ العـوـاـمـلـ هـنـاكـ عـاـمـلـ آخرـ أـسـاسـيـ فيـ ظـهـورـ نـظـامـ سـيـاسـيـ هوـ نـظـامـ الدـوـلـةـ الـمـدـيـنـةـ حيثـ كـانـ تـعـتـبـرـ السـاحـةـ الـعـمـومـيـةـ Agoraـ قـلـبـهاـ النـابـضـ، وـفـيـ هـذـهـ السـاحـةـ كـانـ الـلـقـاءـ يـتـمـ بـيـنـ الـمـواـطـنـيـنـ لـتـبـادـلـ الرـأـيـ وـالـمـشـوـرـةـ وـمـنـاقـشـةـ كـلـ قـضـيـاـهـمـ الـفـكـرـيـةـ وـالـسـيـاسـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ وـكـذـاـ الاستـمـتـاعـ بـالـمـسـرـحـ وـالـفـنـونـ عـامـةـ، مماـ أـشـاعـ الثـقـافـةـ وـالـمـعـرـفـةـ بـيـنـ مـوـاطـنـيـ الـمـدـيـنـةـ، وـمـنـ تـمـ أـصـبـحـتـ السـلـطـةـ وـالـمـعـرـفـةـ شـأـنـاـ عـامـاـ بـعـدـ أـنـ كـانـ حـكـراـ عـلـىـ عـائـلـاتـ وـأـسـرـ مـعـيـنةـ، وهـكـذاـ أـظـهـرـتـ الـدـيمـوقـراـطـيـةـ كـنـظـامـ يـحـافظـ عـلـىـ السـيـرـ الـعـامـ لـلـمـجـتمـعـ، وـقـدـ سـاـهـمـ إـلـىـ جـانـبـ الـمـدـيـنـةـ/ـالـدـوـلـةـ، اـنـفـتـاحـ الـمـدـنـ الـيـونـانـيـةـ وـخـاصـةـ مـنـهـاـ أـثـيـناـ (ـنـظـرـاـ لـمـوـقـعـهـاـ الـجـغرـافـيـ)ـ عـلـىـ الدـوـلـ الـجـاـوـرـةـ يـفـضـلـ مـيـنـاهـاـ الـتـجـارـيـ الـذـيـ يـبـوـئـهـاـ مـكـانـةـ إـسـتـرـاتـيـجـيـةـ بـعـدـ اـنـتـهـاءـ الـحـروبـ وـسـيـادـةـ الـسـلـمـ عـقـبـ ذـلـكـ، فـيـ تـطـورـ وـانـتـشـارـ الـفـلـسـفـةـ.

إنـ تـضـافـرـ هـذـيـنـ الشـرـطـيـنـ سـيـسـاـهـمـ إـلـىـ جـانـبـ عـوـاـمـ الـفـلـسـفـةـ فيـ بـلـادـ الـيـونـانـ وـانتـقـالـهـاـ فـيـماـ بـعـدـ إـلـىـ مـراكـزـ أـخـرىـ، وـإـذـ حـاـوـلـنـاـ تـحـدـيدـ الـإـطـارـ الـلـغـويـ لـنـشـأـةـ الـفـلـسـفـةـ، فـإـنـاـ سـنـجـدـ أـنـ الـفـلـسـفـةـ philosophieـ هيـ لـفـظـةـ يـونـانـيـةـ مـرـكـبـةـ مـنـ كـلـمـتـيـنـ هـمـاـ: فـيلـياـ Philiaـ وـتعـنـيـ مـحـبـ/ـمـحـبةـ، وـصـوـفـياـ Sophiaـ وـتعـنـيـ حـكـمةـ أـيـ مـحـبةـ الـحـكـمةـ Philosophiaـ، وـيعـتـبـرـ "ـفـيـتـاغـورـسـ"ـ وـهـوـ عـالـمـ رـيـاضـيـاتـ وـفـيـلـيـسـوـفـ يـونـانـيـ فيـ الـقـرـنـ السـادـسـ قـبـلـ الـمـيـلـادـ أـوـلـ مـنـ أـطـلـقـ عـلـيـهـاـ هـذـاـ الـاـسـمـ وـأـوـلـ مـنـ أـرـادـ لـنـفـسـهـ أـنـ يـكـونـ مـحـبـاـ لـلـحـكـمةـ.